القلب المكاني في القرآن الكريم

بقلم

محمد عبد الخالق عضيمة

الأستاذ بكلية اللغة العربية بالرياض

يرى أحمد بن فارس أن القلب المكانى لم يقع فى القرآن، قال فى كتابه (الصاحبى)[1] : «ومن سنن العرب القلب، وذلك يكون فى الكلمة، ويكون فى الفقرة.

فأما الكلمة، فقولهم: جذب وجبذ، وبكل ولبك، وهو كثير، وقد صنفه علماء اللغة، وليس من هذا ـ فيما أظن ـ من كتاب الله جل ثناؤه ـ شيء».

أحمد بن فارس نحويّ على طريقة الكوفيين، والكوفيون قد توسعوا فى القلب المكانى، حتى جعلوا منه نحو: سيِّد وميِّت، وهيِّن، مما يراه البصريون على وزن (فَيْعِل)[2] . فأحمد بن فارس فى رأيه هذا لم يوافق الكوفيين ولا البصريين.

والحكم بأن القرآن خلا من القلب المكانى إنما يكون بعد النظر فى القراءات المتواترة. وقد نظرت فى هذه القراءات، فوجدت قراءات سبعية متعيِّنة للقلب المكانى، وأخرى تحتمل القلب وغيره، وثالثه يكون فيها قلب عند بعض النحويين، ولا يكون فيها قلب عند آخرين.

من أمثلة النوع الأول:

كلمة (طاغوت) جاءت فى ثمانى آيات، وقد شرحها شرحا وافيا أبو الفتح، فقال فى المُحْتَسَب[3] : «وذلك أن الطاغوت وزنها فى الأصل فَعَلُوت، وهى مصدر بمنزلة الرغبوت، والرهبوت، والرحموت.... ويدل على أنها فى الأصل مصدر وقوع الطاغوت على الواحد، وعلى الجماعة بلفظ واحد: فجرى لذلك مجرى قومٌ عدْلٌ ورِضاً، ورجل عدلٌ ورضاً، فأما أصلها فهو طيغوت: لأنها من الياء، يدل على ذلك قوله عز وجل: (فى طغيانهم يعمهون) هذا أقوى اللغة فيها: لأن التنزيل ورد به، وروينا عن

---

(١) ١٧٢ طبعة السلفية

(٢) انظر: شرح الرضى للشافية ١٥٢/٣، والإنصاف ٤٦٩ الطبعة الأولى.

(٣) ١٣١/١ ـ ١٣٢ .

قطرب وغيره فيها الواو، وقد يجوز على هذا أن يكون أصله: طَغَوُوت، كفعلُوت من غزوت، وأنا آنس بالواو فى هذه اللفظة؛ لما أذكره لك بعد: ثم إن اللام قُدِّمت إلى موضع العين، فصارت بعد القلب: طَيَغُوت أو طوَغوت، فلما تحركت الياء أو الواو وانفتح ما قبلها قلبت فى اللفظ ألفا؛ فصارت طاغوت كما ترى، ووزنها الآن بعد القلب فَلَعُوت»[٤].

ولم يتحدث احمد بن فارس عن كلمة (طاغوت) فى كتابيه: لا فى معجم مقاييس اللغة، ولا فى المجمل.

أ - « وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ » س - يوسف آية ٨٧

ب - « حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ » س - يوسف آية ١١٠

جـ - « فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ » س - يوسف آية ٨٠

د - « أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ » س - الرعد آية ٣١

قرأ ابن كثير: ولا تايسوا، يايس، استايس، استايسوا، يايس[٥] توجيه هذه القراءات إنما يكون على طريق القلب المكانى. الأصل ييأس، فقدمت العين على الفاء: يأيس، ثم خففت الهمزة بقلبها ألفا: يايس. استيأس، قدمت الفاء على العين: استأيس، ثم خففت الهمزة بقلبها ألفا.

---

(٤) وانظر: المخصص ٢٥/١١، والبيان فى غريب القرآن ١٦٩/١، ولسان العرب، والقاموس المحيط والمصباح. وقد نقل أبو حيان رأيا ضعيفا عبر عنه بقوله: «وزعم أن التاء فى طاغوت، بدل من لام الكلمة، ووزنه فاعول. ومشكل إعراب القرآن لمكى ١٠٧ طبعة دمشق.

(٥) انظر: النشر ٤٠٥/١ (الطبعة التجارية بالقاهرة) غيث النفع ١٣٨، شرح الشاطبية ٢٢٨، البحر ٣٣٥/٥.

أ - « هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا » س - يونس آية ٥

ب - « وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً » س - الأنبياء آية ٤٨

جـ - « مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ » س - القصص آية ٧١

قرأ ابن كثير : ضِئاء، بهمزتين بينهما ألف، وخرجت على القلب المكانى: قدمت اللام على العين: ضئاى، ثم قلبت الياء همزة لتطرفها بعد ألف زائدة[٦] .

النوع الثانى: ما يحتمل القلب وغيره فى القراءات السبع

١ - « أَمْ مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ » س - التوبة آية ١٠٩

فى (هار) وجهان: أحدهما: أصله: هَوِر، أو هَيِـر، تحركت العين وانفتح ما قبلها فقلبت ألفا، فوزنه فَعِلٌ. الثانى: أصله: هاوِر، أو، هايِر، ثم أخرت عين الكلمة، فصارت بعد الراء، وقلبت الواو ياء، ثم أعل إعلال قاضٍ[٧] .

٢ - « وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ » س - الأسراء آية ٨٣

قرأ أبو جعفر، وابن عامر: (وناء) مثل (ناع) فى الموضعين[٨] ، مقلوب (نأى)، فمعناه: بَعُد، وقيل: معناه: نهض بجانبه.

(٦) وانظر: اتحاف فضلاء البشر ٢٤٧ (ط عبدالحميد حنفى) وغيث النفع ١١٨ وشرح الشاطبية ٢١٨ والنشر ٤٠٦/١، والقرطبى ٣٠٩/٨ والكشاف ٣٠٩/٢ والمخصص ٥٠/٩ ، ٢٩/١٧.

(٧) وانظر: معانى القرآن للزجاج ٥٢١/٢ طبعة القاهرة ، وإعراب القرآن للعكبرى ١٢/٢، والبحر ٨٨/٥

(٨) انظر: الاتحاف ٢٨٦، ٣٨٢ والبحر المحيط ٧٥/٦، والكشاف للزمخشرى ٦٩٠/٢ والعكبرى ٥٠/٢

النوع الثالث: ما وقع فيه خلاف بين النحويين

١ ـ «وَأَنكِحُوا۟ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ» . س ـ سورة النور آية ٣٢

فى الكشاف[٩]: «اليتامى والأيامى، أصلهما: يتايِم، أيَايِم، فقلبتا: يتامِى، أيامِى، ثم قلبت الكسرة فتحة.

وقال بالقلب أيضا أبنُ السكِّيت[١٠]، وقال أبو عمرو بن العَلاء بالقلب أيضا[١١]

وقال سيبويه : جمع يتيم، وأيِّم، على فعَالَى[١٢] .

٢ ـ مَلك وملائكة، إن أُخذ مَلك من (لأَك) كان غير مقلوب، وفيه تخفيف الهمزة بحذفها، ونقل حركتها إلى ما قبلها. وإن أخذ من (أَلَك) كان مقلوبا ومُخفَّفَ الهمزة أيضا.[١٣]

٣ ـ كلمة (أشياء): يرى جمهور البصريين أن فيها قلبا مكانيا، والأصل: (شيئاء)، على وزن فعلاء، كصحراء، ثم قدمت اللام على الفاء، فصارت (أشياء) على وزن لفعاء[١٤].

---

(٩) ٢٣٣/٢ (ط بيروت)

(١٠) إصلاح المنطق ٣٤١

(١١) البحر ٤٥١/٦

(١٢) الكتاب (لسيبويه) ٢١٤/٢

(١٣) انظر: الخصائص ٧٨/٢ ـ ٧٩، ٢٧٤/٣، والمنصف ١٠٢/٢ ـ ١٠٤، وأمالى ابن الشجرى ١٠٢/٢، وإصلاح المنطق ٧٠، ٧١، ١٥٩، والروض الأنفُ ١٢٢/٢ (ط الأولى) وشرح الرضى للشافية ٣٤٦/٢، والبحر ١٣٧/١، ورسالة الملائكة لأبى العلاء، والأشباه والنظائر للسيوطى ١٤٦/٤ (ط حيدر أباد الثانية).

(١٤) انظر سيبويه ٣٧٩/٢، والمنصف ٩٤/٢، ١٠١، وشرح الرضى للشافية ٢٩/١، وابن يعيش ١١٧/٩ والمخصص ٦٣/١٦، ٩٢، ١١٦/١٧، ومعانى القرآن للفراء ٣٢٤/١، والإنصاف فى مسائل الخلاف، المسألة ١١٨.

٤ ـ خطاياكم. خطايانا. خطاياهم: يرى الخليل بن احمد أن القلب المكانى مقيس مطرد فى كل ما يؤدى تركه إلى اجتماع الهمزتين، وذلك فى اسم الفاعل من الأجوف المهموز اللام الثلاثى، نحو: جاءٍ، شاءٍ، وساءٍ، وفى جمعه على (فواعل) نحو: جواءٍ وسواءٍ، أو فى الجمع الأقصى لمفرد لامه همزة قبلها حرف مدّ، نحو: خطيئة وخطايا، ودنيئة ودنايا، الأصل: خطائى، فقدمت اللام على الياء الزائدة ـ عند الخليل ـ ؛ خوفا من اجتماع همزتين، فصار (خطائِـىُ) ثم قلبت الكسرة فتحة، والياء ألفا، فصار (خطايا) على وزن فعالَـى.

٥ ـ اطمأن . ولتطمئن، مطمئن، مطمئنة، مطمئنين.

يرى سيبويه أن (اطمأنّ) مقلوب عن (طَأْمَن)[١٥]، ويرى أبو عمر الجرمى عكس ذلك، فيقول: طأمن مقلوب من طمأن[١٦] . ورجح رأى الجرمى ابنُ عصفور فى الممتع[١٧] .

القلب المكانى فى الشواذ

١ - «يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَاعِقِ» س ـ البقره آيه ١٩

فى شواذ ابن خالويه[١٨]: «من الصواقع، بالقلب، الحسن» . وفى الكشاف[١٩]: «وليس بقلب للصواعق؛ لأن كلا البناءين سواءٌ فى التصرف، وإذا استويا كان كل واحد بناءً على حياله». وفى البحر[٢٠]: «قال النقاش: صاعقة،وصعقة، وصاقعة، بمعنى واحد، قال أبو عمرو: الصاقعة : لغة تميم، قال الشاعر:

(١٥) انظر : الكتاب ٢/ ١٣٠، ٣٨٠
(١٦) انظر: المنصف ٢/ ١٠٤
(١٧) ٦١٨ (ط حلب)
(١٨) ص ٣
(١٩) ٨٥/١
(٢٠) ٨٤/١

ألـم تَرَ أنَّ المجرمـين أصابهم صواقـعُ لا بل هُنّ فوقَ الصَّواقع

فإذا كان ذلك لغة، وحكوا تصريف الكلمة عليه، لم يكن من باب المقلوب، خلافا لمن ذهب إلى ذلك، ونقل القلب عن جمهور أهل اللغة».

٢ - « وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا » س - مريم آيه ٧٤

فى الكشاف[٢١]: (وريئا) على القلب، كقولهم: (راءَ) فى (رأى).

وفى البحر[٢٢]: «قرأ أبو بكر فى رواية الأعمش عن عاصم وحميد (وريئا) بياء ساكنة بعدها همزة، وهو على القلب، وكأنه من (راءَ). قال كُثيرٌ عزّة:

وكل خليلٍ رَاءَنـي فَهْـو قائـلٌ: من أجْلِكِ هذا هامَـةُ اليومِ أوْ غَدِ

٣ - « وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ » س - الحج آيه ٢٧

فى الكشاف[٢٣]: «قرأ ابن مسعود (معيق)، يقال: بئر بعيدة العمق والمع...[٢٤]

٤ - « اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ » س - فاطر آيه ٤٣

---

(٢١) ٧٣/٣

(٢٢) ٢١٠/٦ - ٢١١

(٢٣) ١٦٢/٣

(٢٤) انظر: البحر ٣٦٤/٦

في البحر[٢٥]: «روى عن ابن كثير: (ومكر السَّأْى) بهمزة ساكنة بعد السين، وياء بعدها مكسورة، وهو مقلوب «السَّيْءِ مخفَّف السَّيء»[٢٦].

٥ - « بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا » س - الزمر آيه ٥٩

في ابن خالويه:[٢٧] «جأتك، بالهمزة من غير مدّ، الحسن والأعرج»

وفي البحر[٢٨]: «قرأ الحسن والأعرج والأعمش بالهمزة من غير مدّ، بوزن (جَعَتْكَ) وهو مقلوب من (جاءتك) قدمت لام الكلمة وأخرت العين، فسقطت الألف، كما سقطت في : «رمَتْ، وغزَتْ»[٢٩].

٦ - «إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ » س - الصافات آيه ١٦٣

في المحتسب[٣٠]: «ومن ذلك قراءة الحسن: (إلا من هو صالُ الجحيم» بضم اللام.

قال أبو الفتح: كان شيخنا أبو علي يحمله على أنه حذف لام (صال) تخفيفا، وأعرب اللام بالضم، كما حذفت لام (البالة) من قولهم: ما باليت به بالةً، وهي البالية، كالعافية، والعاقبة.

وذهب قطرب فيه إلى أنه أراد جمع صالٍ، أي صالُون، فحذف النون للإضافة وبقيت الواو فحذفها من اللفظ لالتقاء الساكنين، وحمل على معنى (مَنْ) كقوله: (ومنهم من يستمعون) وهذا حسن عندي، وقول أبي علي وجْهٌ مأخوذ به.

---

(٢٥) ٧/٣٢٠
(٢٦) انظر: ابن خالويه ١٢٤
(٢٧) ص ١٣١
(٢٨) ٧/٤٣٦
(٢٩) انظر : الإتحاف ٣٧٦
(٣٠) ٢/٢٢٨

وفى معانى القرآن للفراء[٣١]: «وقرأ الحسن (إلا من هو صالُ الجحيم) برفع اللام فيا ذكروا ، فإن أراد واحداً فليس بجائز؛ لأنك لا تقول : هذا قاضُ، ولا ، رامُ. وإن يكن عرف منها لغة مقلوبة مثل: عاث وعثى فهو صواب. قد قالت العرب: جرف هارٍ وهارُ، وهو شاكى السلاح، وشاكُ السلاح، وأنشدنى بعضهم:

فلو أنى رميتُك من بَعِيدٍ لعاقَكَ عن دُعاء الذئب عَاقِى

يريد: عائق ، فهذا مما قلب. ومنه: (ولا تعثوا، ولا تعيثوا) لغتان.

٧ ـ « وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ » س ـ الأنعام آيه ١٣٨

فى ابن خالويه[٣٢]: «وحرثٌ حِرْجٌ ـ أبىّ بن كعب»

وفى البحر[٣٣]: «وقرأ أُبىّ وعبدالله وابن عباس وابن الزبير وعكرمة وعمرو بن دينار والأعمش: (حِرْجٌ) بكسر الحاء، وتقديم الراء على الجيم وسكونها، وخرج على القلب فمعناه معنى حجر، أو من الحرج، وهو التضييق»[٣٤].

٨ ـ « فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ » س ـ ابراهيم آيه ٣٧

فى ابن خالويه[٣٥]: «آفدة» على وزن عافلة عند ابن كثير.

(٣١) ٣٩٤/٣
(٣٢) ص ٤١
(٣٣) ٢٣١/٤
(٣٤) وانظر : المحتسب ٢٣١/١، والكشاف ٧١/٢
(٣٥) ص ٦٩

وفى البحر[٣٦]: «قرئ (آفِدةً) على وزن (فاعلة) فاحتمل أن يكون اسم فاعل من أفَدَ: إذا قرب ودنا، وأن يكون ذلك جمع فؤاد، ويكون من باب القلب، صار بالقلب أأفدة، فأبدلت الهمزة الساكنة ألفا، ووزنه أعفله»[٣٧]

٩ - «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ» س ـ الاسراء آيه ٣٦

فى ابن خالويه[٣٨]: «ولا تَقُفْ ، بجزم الفاء، بعضهم»

وفى البحر[٣٩]: «قرأ معاذ القارئ: (ولا تَقُفْ) مثل تَقُلْ، من قاف يقوفُ، تقول العرب: قُفْتُ أثره، وقَفَوْتُ أثره، وهما لغتان؛ لوجود التصاريف فيهما، لجبذ وجذب، وليس قاف مقلوبا من قَفَا، كما جوزه صاحب اللوامح»[٤٠]

والقلب المكانى خلاف الأصل والقياس؛ فمتى أمكن غيره كان أولى، ومن أمثلة ذلك:

١ - «فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ» س ـ البقرة آيه ١٧٣

فى البحر[٤١]: «عادٍ: اسم فاعل من عَدَا ، وليس اسم فاعل من عادَ، كما ذهب إليه بعضهم، فيكون مقلوبا، أو محذوفا، من باب: شَاكٌ، ولاَثٌ؛ لأن القلب لا ينقاس، ولا نصير إليه إلاّ لموجب، ولا موجب له هنا إلا ادعاء القلب».

(٣٦) ٤٣٢/٥
(٣٧) انظر: الكشاف ٥٥٩/٢
(٣٨) ص ٧٦
(٣٩) ٣٦/٦
(٤٠) انظر : الكشاف ٦٦٦/٢
(٤١) ٤٩٠/١

فى الكشاف[٤٢]: «وأَدَ يَئِدُ مقلوب من آد يَئُودُ: إذا أثقل».

وفى البحر[٤٣]: «ولا يدعى فى وأد أنه مقلوب من آد؛ لأن كلاًّ منهما كامل التصرف، وليس فيه شئٌ من مسوغات القلب. كامل التصرف فى الماضى والمضارع والأمر والمصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول»[٤٤] .

(٤٢) ٧٠٨/٤

(٤٣) ٤٣٣/٨

(٤٤) انظر : البحر ٥٠٤/٨، والكشاف ٧٨٧/٤